

التوجه الصوفي للإمام الغزالي وأثره على قادة الإصلاح في غرب إفريقيا "عبد الله بن فودي نموذجاً"

د. عمر أحمد سعيد

عميد مركز ترقية الأداء الأكاديمي المهني ، جامعة إفريقيا العالمية

يصدرها قسم الدراسات الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم - قسم الثقافة الإسلامية بإدارة مطلوبات جامعة الخرطوم

مستخلص بحث :

هدفت هذه الدراسة بصفة عامة إلى الكشف عن الجوانب الإيجابية الإصلاحية في التوجه الصوفي ، ممثلة في فكرة الإصلاح والتصحيح ، وهدفت بصفة خاصة إلى بيان الجانب الإيجابي في توجه الإمام الغزالي إلى التصوف ، باعتباره الطريق الصحيح إلى الإصلاح ، وتصحيح المسار وذلك بتحديد أبعاد الآثار التي خلَّفها في منطقة سَلَكَ فيها التصوف طريقاً إيجابياً لإصلاح المجتمع الإسلامي ، والعودة به إلى نهج السلف الصالح ، وذلك عند أحد قادة الإصلاح والتصحيح في غرب إفريقيا ، وهو الشيخ عبدالله بن فودي.

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي لأهميته في تتبع الفكر الصوفي عند الإمام الغزالي وآثاره الإيجابية ، ومن ثم استعرضت الدراسة التوجه الصوفي عند الإمام الغزالي - خلفيته وأسبابه وطبيعته الإصلاحية - كما استعرضت التوجه الصوفي عند الشيخ عبد الله بن فودي ، متتبعة آثار الإمام الغزالي في فكره الصوفي وتوجهه الإصلاحي.

Abstract:

This study aims in general to highlight the positive reforming aspects of sophism. Specifically, it tries to investigate the influence of Imam al-Ghazali on the Islamic movements in West Africa; and the sufi trend of al-Ghazali and its affect on the reforming movements in west Africa. The descriptive method is adopted in this article in order to explain the influence of al-Ghazali on Abdullah Ibn Fudi in particular.

المقدمة :

كان للتوجه الصوفي الذي طرأ على الإمام الغزالي وغيَّر مسار حياته العملية والفكرية صدىً واسع بين المفكرين والعلماء ، ومن ثم كانت له آثار واسعة انتظمت الحياة الثقافية في عصره. ولعل أهم ما ينطوي عليه ذلك التوجه هو فكرة إصلاح النفس والغير التي عبَّر عنها الإمام الغزالي بصورة واضحة في " **المنقذ من الضلال** " وفي غيره.

هذا المنهج التربوي الذي استهدف إنقاذ النفس ومعالجتها من الرياء وحب الدنيا والجاه والسلطان ؛ أصبح مرجعا للكثير من المفكرين والعلماء. انتقلت آثاره من المشرق العربي إلى المغرب وغرب إفريقيا وغيرهما من مناطق العالم الإسلامي ، ممثلة في التوجه الإصلاحي المتكامل للنفس وللمجتمع.

ولما لهذا الكاتب من اهتمام بالجانب الإيجابي في حركة التصوف بصفة عامة وتصوف الإمام الغزالي بصفة خاصة ، ولما يواجهه المتصوفة والغزالي من هجوم يتركز حول السلبية والتقوقع حول النفس عمد الباحث من خلال هذه الدراسة إلى إبراز الجوانب الإيجابية من التصوف وتصوف الغزالي من خلال الكشف عن المنهجية التربوية والإصلاحية التي ينطوي عليها توجه الغزالي إلى التصوف ، ممثلة في الالتفات إلى النفس وإيجاد النموذج الصحيح فيها ، والإعلان عن ذلك باعتباره موقفاً وفكراً ، حتى تكتمل دائرة الاقتداء باتخاذ النموذج ، والتنبيه إلى مخاطر الانحراف عن النهج القويم.

ولطبيعة ما هو مطلوب من الدراسة ركز البحث على حقيقة انتشار المنهج وتأثيره ، بتركيز على شخصية تعليمية تربوية إصلاحية في غرب إفريقيا ، وهي شخصية الشيخ عبدالله الرجل الثاني في حركة الإصلاح التي قادتها أسرة " **دان فودي** " شمال نيجيريا.

تجنبت الدراسة الترجمة الكاملة لكل من الرجلين مع الاهتمام ببعض جوانب حياة الشيخ عبدالله المتعلقة بموضوع البحث وذلك اختصاراً للزمن والجهد ، وتركيزاً على طبيعة التأثير ومواقعه ، وما يخلص من نتائج. ولذلك ركزت الورقة على عرض منهج الغزالي في توجهه الصوفي ، وصبغته التربوية الإصلاحية ، وانتشار هذا التوجه والمنهج ، ثم أثر ذلك في الشيخ عبدالله بن فودي ، مما يؤكد عمق التأثير لهذا التوجه. ثم خلصت إلى نتائج مهمة تؤكد بقوة منهج الغزالي الإصلاحي وانتقال آثاره إلى ذلك الجزء من العالم الإسلامي.

منهج الغزالي الإصلاحي التربوي في توجهه الصوفي :

يتمثل المنهج الإصلاحي التربوي الذي أختطه الغزالي في توجهه الصوفي لإصلاح نفسه وغيره في خطوات إجرائية واضحة المعالم ، هي الالتفات إلى النفس وتقويم أحوالها وسلوكها وتوجهها وفقاً لمبادئ الإسلام وممارسات السلف الصالح ، ثم العمل على إصلاحها بما تطمئن إليه النفس وبما يُلفت أنظار الآخرين إليه يقول : **" لاحظت أعمالي ، وأحسنها التدريس ، فإذا أنا مقبل على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ، ثم تفكرت في نيتي في التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى ، بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت ، فأيقنت أني على شفا جرف هار ، وأني قد أشرفت على النار إن لم أشتغل بتلافي الأحوال ، فصارت شهوات الدنيا تجاذبني سلاسلها إلى المقام ، ومنادى الإيمان ينادي الرحيل الرحيل ، فلم يبق من العمر إلا القليل ، وبين يديك السفر الطويل ، وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخبيل ، فإن لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد ؟ وإن لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطع ؟ "**.[1]

من خلال هذا النص يمكن التعرف على أهم ما يربط هذا المنهج بالتربية ، وهما أمران مهمان : تربية النفس ، وتزكيتها لتكون قدوة صالحة ، ثم استهداف المجتمع المقصود بالتنبيه والتوعية بالخطر المحدق وفي ذلك قمة التربية والإصلاح ، وهو سبيل الأنبياء والمصلحين قاطبة.

وفي توجهه للتوعية والتنبيه ، يقسم الغزالي[2] المستهدفين إلى أربعة أقسام من الناس يشتركون جميعاً في الجهل وهم : جاهل غافل أو مغفل ، وجاهل ضال ، وجاهل ضال فاسق ، وجاهل ضال شرير ، ويجعل لكل قسم طريقة خاصة للتربية. هذا المنهج المنطلق من قاعدة صوفية واضحة لم يأت من فراغ ، وإنما استنبطه الإمام الغزالي من تعمق في النفس الإنسانية التي تنطوي عنده على كثير من الغرائز التي تدفعه إلى مشاكلة الحيوان في طباعه ، راجعاً في كثير مما يرى إلى من سبقه من متصوفة الإسلام الذين انتهجوا نفس النهج واتبعوا نفس الخطوات ، منطلقين من ظروف شبيهة بالظروف التي انطلق منها الغزالي.

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالي : المنقذ من الضلال ، [تحقيق عبد الحليم محمود] ، دار الطباعة الحديثة بيروت ، ص٦٢.

(٢) الإمام أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين بغداد ، ج٣ ، ص٤٣ – ٥٠.

ولابد هنا من بيان ارتباط نشأة التصوف عند المتصوفة الأوائل بفكرة الإصلاح للنفس بأبعادها عما آل إليه المجتمع حكاماً ورعية من تنكب واضح عن طريق الصحابة والسلف الصالح سياسياً واجتماعياً وعقدياً وأخلاقياً ، مما أشارت إليه كتب التاريخ السياسي[٣] ، والتاريخ الاجتماعي[٤] في العصور التي تلت عصر الراشدين وهو معلوم.

يقول الكلاباذي في ذلك : **" فهذه الطائفة الكريمة فزعت لما رأت ذلك التحول عن الدين والانسلاخ عما كان عليه صحابة خير العالمين... فأخذتهم الغيرة على الدين والحرص على خلود معالمه بين المسلمين بأن يتداركوا أنفسهم ، وأن يأخذوا بطريقتهم تخلصاً من ذلك التيار الدنيوي الخطير ".**[٥]

فكرة الإصلاح إذن لا تخطئها العين في مواقف الصوفية الأوائل في وجه التحولات ، ومن ثم يرى ماسنيون (Massignon) أن دعوة التصوف في أصلها ليست إلا ثورة الضمير الإسلامي ضد مظاهر الظلم الاجتماعي.[٦]

ولعل الحسن البصري (ت ١٦٠ هـ) ، والذي يعتبره المتصوفة حلقة الوصل في سلسلة التصوف ، أول من عرف برفض الحياة الاجتماعية بما فيها من أهواء وفتن.[٧]

وللمتصوفة الأوائل مواقف مرصودة في كتب التاريخ ، يعارضون فيها الولاة ، وعلماء الدولة ، وهي بدون شك مواقف رفض في طريق الإصلاح. يقول أحمد أمين عن المحاسبي : **" والمحاسبي تدبر أمر خطوات الأمة بما فيهم علماء الدولة فرأى في التصوف النجاة ".**[٨]

والحسن البصري كان قد تتلمذ عليه أساطين التصوف الأوائل الذين عرفوا بمقاومة الظلم والفساد ومقاطعة الولاة والوجهاء وعلماء الدولة ، من أمثال الفضيل بن عياض ،

---

(٣) انظر في ذلك عبد المنعم ماجد ، التاريخ السياسي للدولة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، المجلد٢ ، ص١٧٧.

(٤) انظر في ذلك كتاب الأغاني ، أبو الفرح الأصفهاني ، وتاريخ ابن خلدون ، العصرين الأموي والعباسي.

(٥) أبوبكر الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص٩.

(٦) Massignon : Short Encyclopedia of Islam , London , ١٩٦٤, p٥٤٠

(٧) أبوالحسن الندوي : رجال الفكر والدعوة ، دار العلم ، ١٩٧٤م.

(٨) أحمد أمين : زعماء الإصلاح ، بيروت ، ب ت ، ص٥٩.

وإبراهيم بن أدهم ، ولعل في كثير مما يُروىٰ عن المتصوفة الأوائل ما يشير بجلاء إلى الرفض والنزوع إلى الإصلاح. يقول بشر الحافي : " **يأتي على الناس زمان تكون فيه الدولة للحمقى والأراذل على أهل العدل والأكابر** ".[٩]

وكان أبوعلي الروزبادي يقول : " **ابتلينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام ، ولا أخلاق الجاهلية** "[١٠] أما السري السقطي فيعلن : " **من أراد أن يسلم له دينه ويقل غمه فليعتزل الناس لأن هذا زمان عزلة ووحدة** ".[١١]

في كل ذلك ، ومثله كثير ، رفض واضح لما آلت إليه الحياة السياسية والاجتماعية ، وسعي واضح لإصلاح النفس والغير في وقت ابتعد الناس فيه عن طريق الإسلام الصحيح.

وللمتصوفة الذين سبقوا الإمام الغزالي مواقف جريئة مع أهل السلطان فيها من مظاهر الإصلاح والتربية ما هو جلي.

رُوي أن عبد الملك بن مروان قال لسعيد بن المسيب وهو من الزهاد الأوائل يا سعيد ، قد صرت أفعل الخير فلا أسرُّ به وأفعل الشر فلا أُساء به فقال سعيد : " **الآن تكامل فيك موت القلب** ".[١٢]

وللمتصوفة في العصر العباسي مواقف كثيرة تشير إلى توجه إصلاحي واضح خاصة في عصر الرشيد الذي كان له مواجهات مع حاتم الأصم ، والفضيل بن عياض ، يتضح فيها الرفض التام من متصوفة الإسلام لأموال الحكام والوجهاء ، وعلماء الدولة. ينقلُ في ذلك ؛ أن الفضيل ابن عياض قال لسفيان بن عيينة عندما حاول إقناعه بجبر خاطر الرشيد : " **كنتم معاشر العلماء سرُجاً يستضاءُ بكم فأصحبتم ظلمةً ، أما يستحي أحدكم إذا أتى هؤلاء الأمراء وأخذ من مالهم وهو لا يدري من أين أخذوه** ".[١٣]

مثل هذا الموقف تكرر عند المحاسبي والجنيد والشبلي وغيرهم من اللاحقين وهو موقف لا تخطئ العين آثاره في مواقف وكتابات الغزالي المتأخرة مما يؤكد الخلفية التي أستند

---

(٩) الكلاباذي : التعرف ، ص١٤٤.

(١٠) المرجع السابق نفسه.

(١١) المرجع السابق نفسه.

(١٢) ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص١٧.

(١٣) انظر تفاصيل ذلك في محمد الفقي : التصوف حياة وسلوك ، المطابع الأميرية ، القاهرة ، ص١٧٦.

إليها الغزالي في توجهه الصوفي الإصلاحي للنفس والغير وفي النص الآنف الذكر دليل على ذلك.

غير أن الإمام الغزالي يختلف كثيراً عن المتصوفة السابقين له ، وربما عن كثير من اللاحقين ، ويمكن حصر ذلك الاختلاف فيما يلي :

(١) أن الغزالي لم يكن مجرد صوفي كغيره من المتصوفة ، وإنما كان صوفياً فيلسوفاً ومرشداً اجتماعياً ودينياً وتربوياً أصيلاً ، فطن إلى أن التعليم والتربية الصحيحة هي الوسيلة المثلى لنشر الفضيلة وإصلاح المجتمع. وهو بذلك يقف شامخاً بين فلاسفة التربية وعظمائها[١٤] وهذا جانب مهم فيما نحن بصدده من الكشف عن انتشار أفكاره وتأثيرها.

(٢) حرص الغزالي على إبراز هذا المنهج والإعلان عنه بصورة مفصلة كاملة ، مما يشكل المرجعية الأساسية للإصلاح المتكامل لكل من يرغب في اتباع هذا المنهج والاقتداء به.[١٥] يظهر ذلك في كتاباته في المنقذ والإحياء ، ومنهاج العابدين ، وفي غيرها من كتبه التي كان يوجهها إلى الخاصة.[١٦]

(٣) الانتقال بالمنهج من مجرد الممارسة والتنبيه الذي كان عليه من سبقوه إلى دائرة الفلسفة والفكر، وهو بُعد تعليمي تربوي يتجاوز به العامة[١٧] إلى الخاصة من المفكرين والفلاسفة والمصلحين.[١٨] وهذا ما يركز عليه هذا البحث بصورة خاصة ، لارتباطه المهم بموضوع الدراسة وهو عمق تأثير المنهج على المفكرين من قادة الإصلاح ، ومن بينهم عبد الله بن فودي في العمق الإفريقي.

(٤) أن الغزالي كان قبل تحوله إلى التصوف علماً من أعلام الفكر الإسلامي ذائع الصيت بسبب مكانته العلمية التربوية ، حيث كان على رأس كبرى المؤسسات التعليمية في

---

(١٤) فتحية حسن سليمان : المذهب التربوي عند الغزالي ، القاهرة ، ١٩٦٤م ، ص٤- ٥.

(١٥) ويظهر ذلك في منهجه التربوي في " أيها الولد " مجموعة رسائل الإمام الغزالي القاهرة ب ت.

(١٦) مما يعرف عنده بمؤلفات المضنون به على غير أهله.

(١٧) مصطلح العامة شائع عند الغزالي ، وهم من هم غير أهل التصوف.

(١٨) محمد السعيد عبد المقصود : تربية الصفوة في : الإمام الغزالي ،جامعة قطر ١٩٨٦ ، ص٤٣٩.

عصره ، وهي المدرسة النظامية التي كان يؤمها الطلاب والعلماء[19] ، وهذا الاختلاف يُعد جوهرياً في تحديد مكانة الإمام الغزالي من التصوف ، ليس بسبب النضج الفكري الذي بلغه الغزالي قبل تحوله إلى التصوف وحسب ، وإنما بسبب الضجة التي أثارها ذلك التحول وهو في قمة عطائه وعلو مكانته ، وهو أمر مهم فيما نحن بصدده من التأثير.

(٥) الإقبال الكامل في نهاية المطاف على التربية والتعليم من خلال التدريس والتأليف استكمالاً لعناصر المنهج الإصلاحي التربوي ممارسة وتطبيقاً عملياً في معاودة امتهان التدريس والتأليف ، حيث بنى مدرسة للتدريس وخانقاه للصوفية في داره بطوس[20] ، وهذا أيضاً مما يركز عليه البحث لصلته بالتأثير الذي تستهدفه الدراسة.

(٦) كان التوجه الصوفي للإمام الغزالي خلافاً لمن سبقوه ناجماً عن اختبار وتمحيص دقيق للنفس وأحوالها ، وفحص عميق للأفعال ودوافعها ، وغاياتها فضلاً عن الرغبة الملحة عنده لاختبار أقوال وأحوال من سبقه من العلماء المتصوفة. وغير ذلك مما عبر عنه بصورة مباشرة في المنقذ من الضلال وفي رسالة أيها الولد المجد.

أما العصر الذي عاش فيه الإمام الغزالي فمع وجود نفس الأسباب والدوافع التي شكلت توجه المتصوفة من ترف وانشغال بالدنيا عما كان الأمر عليه عند الصحابة والسلف الصالح ، لدى المجتمع وقياداته المختلفة ، فإنه عصر مشحون بكثير من الفتن والأهواء والصراعات بأنواعها ، فضلاً عن الدسائس والوشايات والمكر ، مضافاً إلى كل ذلك تعدد الفرق والمذاهب والطوائف وغير ذلك مما يؤدي إلى الفتنة في الدين والفكر والرأي والعلم. كل أولئك في توجه دنيوي ظاهر على حساب صحة المعتقد والمجتمع والتوجه.[21]

هذا الوضع الذي كانت عليه الحياة في عصر الغزالي كان له دور كبير في صعوبة اتخاذ القرار الصائب وتحديد الوجهة التي ينطلق منها الإصلاح بالنسبة له.[22]

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الغزالي كان يعي دوره في التغيير المطلوب ، وذلك لإحساسه بمكانته من المجتمع وقياداته ، وهو فيه العَلَمَ الذي يشار إليه بالبنان ، وهو محط

(١٩) الحافظ بن كثير : البداية والنهاية ، بيروت ، ١٩٦٦م ، ج١٢ ، ص١٧٣.
(٢٠) المرجع السابق نفسه.
(٢١) محمود قمبر : الفكر التربوي ومصادره عند الغزالي في : الإمام الغزالي ، ص٢٢٩.
(٢٢) نفس المرجع ، ص٢٣٠.

الأنظار ، والقبلة التي يقصدها النظار. حيث تصدر للتدريس بنظامية بغداد ، وهو ابن أربع وثلاثين ، وكان يحضر جلسته شيوخ العلم.[٢٣]

أوجد كل ذلك نوعاً من التنازع الداخلي ، كما هو واضح من وصفه لحاله النفسية في المنقذ.

ومع كل ذلك جاء قراره حاسماً صحبه تدبير قوي يلمح فيه الباحث فكرة الهجرة وأحكامها في حيلة من التضليل حتى لا يفشل تدبيره[٢٤] ، والهجرة من أجل إصلاح النفس والغير تدبير اتخذه كثير من قادة الإصلاح في الفترات اللاحقة بما فيهم الشيخ عبد الله بن فودي موضوع الدراسة.

انتشار المنهج وتأثيره :

بسبب ما مر من الخصائص التي ميزت الغزالي عن غيره من متصوفة الإسلام انتشر منهج الغزالي وفكره في العالم الإسلامي حيث ذاعت شهرته وبلغ صداها أركان الدولة الإسلامية التي بلغ اتساعها ذروته في الفترة التي عاش فيها الغزالي ، وازدهرت فيها مؤلفاته ، خاصة تلك التي كتبها بعد فترة التحول مما يمثل قمة نتاجه الفكري ونضجه ، بحيث شهد له بالعلم شيوخه وتلاميذه.[٢٥]

يقول الدكتور القرضاوي عن الغزالي : " **اسم رزق صاحبه من الشهرة والذيوع لدى الخواص والعوام ، وأثر في الحياة العلمية والعملية ما لم يتح لأحد من العلماء والمفكرين قبله أو بعده فيما نعلم** ".[٢٦]

ولعل من أهم أسباب انتشار فكر الغزالي ، إضافة لما سبق ، تعدد مصادر فكره من جهة ، وتنوع استهدافه بمؤلفاته من جهة أخرى. يقول الدكتور سليمان دنيا : " **ثم إن الغزالي نهل من كل ثقافة ورَوِيَ من كل مشرب** ".

والغزالي حر في تفكيره يعرف الرجال بالحق ، ولا يعرف الحق بالرجال ، وقد ساعده عدم تعصبه أن يأخذ الحق أنى وجده ولو من فم كافر... ولهذا ظهر الغزالي وفيه شبه لكل

---

(٢٣) نفس المرجع ، ص٢٢٦.

(٢٤) المنقذ من الضلال ، ص١٤٣.

(٢٥) الحافظ بن كثير : البداية والنهاية ، مرجع سابق ، جـ١٢ ، ص١٧٤.

(٢٦) يوسف القرضاوي : الغزالي حجة الإسلام في : الإمام الغزالي ، ص ١٨.

أولئك الذين أخذ منهم... كان كالبلورة تعكس عليها جملة ألوان وهذا ما جعل الناس يتنازعونه فالمتصوفة يرونه صوفياً، والأشاعرة يرونه أشعرياً والفلاسفة يرونه فيلسوفاً.[٢٧] كما أن صدق الغزالي وجرأته في الفكر كان عاملاً مهماً في الإقبال عليه. يقول البروفيسور زكريا بشير: " **إن الغزالي لم يكن متناقضاً بحال من الأحوال، ولم يكن مخادعاً، بل كان صادقاً كل الصدق في شكه الفلسفي الذي جعله طريح الفراش، وفي حيرته ووجده وشوقه إلى الأنوار الربانية...** ".[٢٨]

ويُعد كتابه الفريد إحياء علوم الدين الذي كتبه في أثناء هجرته الصوفية[٢٩] من أكثر مؤلفاته التي عملت على انتشار منهجه الصوفي، لأنه يمثل كما أسلفنا عصارة فكره وحصيلة جهده العلمي، فقد وجد لهذا السفر أكثر من مائة وتسعة من المخطوطات[٣٠]، وكمٌ كبير من كتب التقريظ أو المدح، والشروح، والمختصرات، والتلخيصات. بلغت مختصراته خمسة وعشرين مختصراً[٣١]، عدَّد فيها بروفيسور الفاتح قريب الله بضعة عشر[٣٢]، وكان هذا الكتاب ملاذاً آمناً يلجأ إليه الناس في أوقات المحن يروح عنهم كما حدث في محنة بغداد[٣٣] يقول فيه العيدروس: " **من أراد طريق الله، وطريق رسول الله، وطريق العارفين بالله، وطريق العلماء بالله، أهل الظاهر والباطن؛ فعليه بمطالعة كتب الغزالي خصوصاً إحياء علوم الدين فهو البحر المحيط** ".[٣٤] والإحياء من عنوانه ومضمونه في جوهره كتاب إصلاح تربوي تجديدي، ويمثل من الحقيقة ثمرة جهود الغزالي الإصلاحية.

---

(٢٧) سليمان دنيا: الحقيقة في نظر الغزالي، دار المعارف، القاهرة، ط ٣، ١٩٧١م، ص٩-١٠.

(٢٨) زكريا بشير إمام: تأملات في فلسفة الغزالي النورانية في مجلة كلية الآداب، جامعة الإمارات العربية، ١٩٧٣م، ص٢٤.

(٢٩) ابن كثير مرجع سابق، جـ٣، ص٥١٦.

(٣٠) زكريا بشير إمام: تأملات نقدية في الفلسفة الإسلامية، دار الجيل، الدار السودانية، ١٩٩١م، ص٢٦.

(٣١) المرجع السابق والصفحة.

(٣٢) حسن الفاتح قريب الله: دور الغزالي في الفكر، مطبعة الأمانة، القاهرة ١٩٧٨م، ص٦٧-٦٨.

(٣٣) زكريا بشير إمام: تأملات نقدية، مرجع سابق، ص٢٧-٢٨.

(٣٤) عبد القادر العيدروس: تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، القاهرة، ١٩٦٨م، ص٧.

وفي انتشار فكر الغزالي يقول البروفيسور حسن الفاتح قريب الله : " **وقد بلغ الإعجاب والتقدير لكتب الغزالي أن حفظوا بعضها عن ظهر قلب ، وتسموا بأسمائها ، وكتبوها بماء الذهب ، واعتبروها مقياساً للفهم والثقافة ، ويراسل منها الأدباء في نثرهم وشعرهم ، بل قسمها البعض ثلاثين جزءاً كالقرآن ، ربما يتلونها بدلاً عنه في رمضان** "(٣٥) ، ومع تحوط الباحث حول بعض ما في هذا النص ؛ فإنه بدون شك يشير إلى عمق تأثير الغزالي في العالم الإسلامي عبر مؤلفاته والإحياء أولها.

وعن عموم أثر الغزالي على مجال الفكر الصوفي وتوجهه الإصلاحي فيه يقول نفس الكاتب : " **والدارس المقارن يلاحظ مدى الأثر العميق الذي أحدثه الغزالي في الفكر بشأن التصوف... ولقد تعمدت في بحثي هنا أن أشير إلى عدد من الأسماء الصوفية اللامعة لترى كيف أن الغزالي قد أثمرت مجهوداته في هذا الميدان ، ونجحت مساعيه في إنقاذه [أي التصوف] من الهوة التي كان ربما تردى فيها** ".(٣٦)

يمكن أن ننفذ من خلال ذلك بالطبع إلى تتبع أثر الغزالي في شخصية الشيخ عبد الله ابن فودي محل هذه الدراسة.

أثر الغزالي في الشيخ عبد الله بن فودي :

لابد عند التحدث عن أي نوع من الأثر من شخص على آخر من تحقيق الاتصال ووسائله. ومع أن الحاجز الزمني الذي يفصل ين الشخصين يتجاوز السبعة قرون تقريباً ، فإن انتقال معظم مؤلفات الإمام الغزالي بما فيها إحياء علوم الدين إلى منطقة الشيخ عبد الله لا شك فيها ، وهذا ما يتضح من خلال تناول الأثر الفكري الصوفي عليه.

وذلك لتأكيد انتقال فكر الغزالي عبر مؤلفاته إلى منطقة المغرب العربي ، شأنه في ذلك شان أنحاء العالم الإسلامي الأخرى ، وقد عرف عن المغاربة عنايتهم بمؤلفات الغزالي خاصة كتاب الإحياء ، الذي سبق أن أشير إلى تقسيمه إلى ثلاثين جزءاً يُقرأ في شهر رمضان(٣٧) ، هذا فضلاً عن عناية الموحدين بمؤلفات الغزالي. يقول محمد توفيق عياد : " **أسهم التصوف في المغرب في ثورة الإصلاح التي قادها " ابن تومرت " ، الذي تأثر**

(٣٥) حسن الفاتح قريب الله ، المرجع السابق ، ص١٦٦.

(٣٦) المرجع نفسه ، ص١٦٢.

(٣٧) نفس المرجع والصفحة.

بالغزالي حيث التقى به في رحلته إلى المشرق ".[٣٨] وقد عدد عياد عوامل مباشرة لانتشار التصوف والتغلغل في المنطقة ، أهمها التربية الروحية ، والرباطات الصوفية التي تعمل على إصلاح الجماعة. ومن المغرب العربي كان انتشار الفكر الصوفي جنوباً عبر هذه الرباطات التي أسهمت في نشر الإسلام عبر الكتب التي كانت تُنسخ في هذه الرباطات وتحملها القوافل التجارية إلى الداخل الإفريقي.[٣٩]

لا يكون انتقال الثقافة الإسلامية بمؤلفاتها إلى هذا الجزء القصي من إفريقيا محل عجب للقارئ الكريم ، إذ أن طريق القوافل التجارية كان مصدر حركة دائمة تنقل الكتب من المغرب العربي إلى إفريقيا الغربية ، حيث كانت القوافل تغدو محملة بالذهب والبضائع الإفريقية ، وتروح مثقلة بالكتب التي كانت تنسخ في القرون الوسطى في رباطات المتصوفة على أطراف الصحراء من جهة المغرب العربي ، تباع للرائحين إلى إفريقيا الغربية ، ومن ثم تنتشر في كل مناطق غرب إفريقيا بين المشتغلين بها. وعشيرة الشيخ عبد الله من أكبر أولئك المشتغلين بالعلوم العربية والإسلامية في المنطقة.

ولد عبد الله بن فودي عام ١٧٦٦م في منطقة " **غُوبر**" أقصى الشمال الغربي لنيجيريا الحالية ، في أسرة علم ودين هي أسرة فودي الجد وفودي معناها الفقيه. تنتمي هذه الأسرة لعشيرة " **التوروب** " المعروفة بتوارثها الثقافة العربية الإسلامية ، وهي فرع من قبيلة الفلاني التي هاجرت إلى المنطقة من بلاد " **فوتا تورو** " بالسنغال.

تلقى عبد الله على والده ووالدته مبادئ العربية والقرآن الكريم ، ثم عهد به إلى أخيه الأكبر الشيخ عثمان بن فودي ، الذي تلقى عليه علوم العربية والفقه والتصوف.

وقد رصد عبد الله بن فودي العلوم التي تلقاها في كتابه المشهور الذي سماه " **إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ** " ، تكرر فيه ذكر كتب الغزالي ، خاصة إحياء علوم الدين الذي درسه على أكثر من شيخ ، ومنهاج العابدين ، وغيره من مؤلفات الغزالي في التصوف.

---

(٣٨) محمد توفيق عياد : مرجع سابق ، ص١٦٧.

(٣٩) فضل كلود : الثقافة الإسلامية في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم برنو ، [رسالة دكتوراه غير منشورة] ، جامعة الأزهر ، ١٩٨٣، ص١٥٠– ١٥٣.

عدد الشيخ عبد الله في كتاب إيداع النسوخ ما يقارب العشرة علماء من عشيرته تلقى عليهم مختلف العلوم العربية والإسلامية.[٤٠]

ولعل من أهم العلوم التي درسها الشيخ عبد الله ذات الصلة المباشرة بموضوع هذا البحث علم التصوف ، الذي درسه على أخيه الأكبر قائد حركة الإصلاح الكبرى في "صكتو" ، الشيخ عثمان بن فودي والذي يقول عنه :

ومن علم توحيد وعلم تصوفٍ سقـاني فروَّى والحساب المُقرّب

ولعل أول أثر يمكن رصده للإمام الغزالي على الشيخ عبد الله بن فودي ما جاء في منظومة أخرى في علم التصوف كانت من بواكير ما كتبه الشيخ عبد الله سماها " **منن المنان** " يقول في مطلعها :

الحمد لله القديم الفاطر كل البرايا عالم الخواطر[٤١]

يقول فيها في تعريفه للتصوف :

تجريدنا لمن له التصرف مع احتقار غيره التصوف
وهكـذا قد حده الغزالـي فراقـب الله بكـل حـال

هذه المنظومة ، التي كتبها ضمن منظومات له عديدة تفوق الأربع عشرة معظمها من ألف بيت ، عاد إلى شرحها في آخر أيامه برسالة سماها " **شكر الإحسان على منن المنان** " ، يقول في شرحه للبيت : " **تجريدنا القلوب من غير الله لتنال صدق التوجه إلى الله الذي له التصرف... مع احتقار غيره بقطع الطمع فيه** "... ثم قال : كما قال الغزالي : " **تجريد القلب لله واحتقار كل شيء سواه** ".[٤٢] وله في مؤلفاته في التصوف في آخر حياته شبه واضح بالإمام الغزالي مما يشير إلى أثر كبير يمكن تتبعه في النقاط التالية :

(أ) **اهتمامه بمناقشة قضايا التصوف** : مثل ما عني الإمام الغزالي في منهجه التربوي بإصلاح نفسه ، فقد عني الشيخ عبد الله بهذا الأمر في كتاباته ، منطلقاً من المفهوم الذي

---

(٤٠) عبد الله بن فودي : إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ ، (تحقيق هسكت) ، ١٩٥٧م ، ص٢.

(٤١) عبد الله بن فودي : منن المنان ، مخطوط ، ص٢ – ٨/ ١١٩ NHRS ABU Zaria Nigeria.

(٤٢) عبد الله بن فودي : شكر الإحسان على منن المنان ، ص ٥/ ٩٢٥ NHRS ABU Zaria Nigeria.

أخذه عن الغزالي في صدق التوجه إلى الله يقول : " **قلت يجب على كل مكلف الجهاد في نفسه ليخرج الأخلاق الذميمة ويكتسب الأخلاق الحميدة** ".[43] ونفس المفهوم يصف حال المتصوف في ذلك يقول : " **هي حال تشغل العابد عن كل الأعمال ما عدا الفرائض وعاملها من أقوى العوامل** ".[44] بل يواصل عبد الله حديثه عن التدرج في الأحوال والمدارج الصوفية ، مع عدم الإفصاح عن ذلك فيضع وزناً كبيراً للعامة تماماً كما فعل الغزالي يقول : " **الأعمال للمريدين والطرائق للعابدين والحقائق للعارفين... والمتصوف الحق هو الذي ينظر إلى الحقيقة بعين الشريعة** "[45] وفي كل ذلك انعكاس واضح لأثر منهج الغزالي الذي تناولناه في صدر هذا البحث.

(ب) **اهتمامه بالخلوة** : اهتم عبد الله كما فعل الغزالي بأمر اعتزال الناس لنفس الأسباب التي يسوقها الغزالي يقول : " **وإنما اتخذت الخلوة للمريدين لما كثرت الفتن والمخالفات ، فاختاروا الفرار لإصلاح دينهم وأحوالهم** ".[46]

فالخلوة في نظر الشيخ عبدالله هي الجانب التطبيقي من الاعتزال ، أو هي ثمرة الاعتزال وكلاهما عنده وسيلة لحفظ الأوقات وتجريد الخالق بالعبادة بغرض إصلاح النفس وتعمير الأرض بذكره ؛ وحب الخلوات راحة للقلب من هموم الدنيا ويُلزِم إهمال النفس ، ويُورِث الزهد في معرفة الناس ، وترك الخصومات ، والجدال ، والقدرة على كظم الغيظ ، وترك الحقد وذكر نعم الله عليه ، وإحسانه إليه ، والشكر على ذلك والبكاء من خشية الله. وأعلم أنه لا يثبت لك قدم على الطريق وفي قلبك خوفان ؛ خوف من الفقر ، وخوف من السقوط في أعين الناس.[47]

(ج) **الشريعة والحقيقة** : هذا المبحث تناوله عدد من الكتاب تحت عناوين مختلفة أكثرها وضوحاً العلاقة بين الفقيه والصوفي بينما ينظر إليه البعض من منطلق العلاقة بين الشريعة والحقيقة.

---

(43) عبد الله بن فودي : لباب المدخل في آداب أهل الدين والفضل ، [مخطوط غير مصنف] ، المركز الإسلامي ، جامعة صكتو [دان فودي] ، ص١٠٩.

(44) نفس المرجع ، ص١١١.

(45) عبد الله بن فودي : ضياء السياسات ، [تحقيق أحمد محمد كاني] ، ١٩٩٤م ، ص١٨٢– ١٨٤.

(46) عبد الله بن فودي : لباب المدخل ، المرجع السابق ، ص١٣٧.

(47) عبد الله بن فودي : لباب المدخل ، نفس المرجع ، ص١٤٥.

المقصود بالشريعة هو جانب العبادات من حيث ظاهرها المتعلق بالصحة والفساد بينما يقصد بالحقيقة جانب العبادات من حيث باطنها المتعلق بالتقرب بها إلى الله تعالى.

وقد قدم ابن عطاء الله السكندري في حكمه شرحاً مستفيضاً لهذه المسألة مبيناً أن لا تعارض في الأصل بين الشريعة والحقيقة، ولا خلاف بين أهل كل.[٤٨]

ولعل خير من فصل القول في هذا المبحث هو الإمام الغزالي، الذي بين أهمية كل من الفقيه والصوفي، وطبيعة مجال كل في العلاقة بين العبد وربه: **" أما الإسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد، وفي شروطه، وليس يلتفت فيه إلا للسان، وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه، وأما الصلاة فالفقيه يقضي بالصحة إذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط، أما الخشوع الذي هو عمل الآخرة وبه ينتفع العمل الظاهر فلا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجاً عن ولايته ".**[٤٩]

هذه المقارنة مهمة لارتباطها القوي بآراء الشيخ عبد الله ومواقفه من هذه القضية.

والشيخ عبد الله الذي يُعتبر بكل المقاييس من فقهاء عصره وبلده[٥٠]، قد اتخذ موقفاً شبيهاً كل الشبه بموقف الإمام الغزالي، وله آراء شبيهه كل الشبه بآرائه.

وقد سعى الشيخ عبد الله مثل ما فعل علماء المتصوفة إلى التوفيق بين الشريعة والحقيقة، وذلك لأنه كحال الغزالي من متصوفة الفقهاء الذين تسلحوا بالفقه قبل دخول الطريقة.

وقد أظهر الشيخ عبد الله اهتماماً بضرورة التزام المتصوفة بالشرع، ومن ذلك ما ذكره في خاتمة كتابه ضياء السياسات التي خصصها لعلم التصوف، وسماها **" الخاتمة في قواعد الفروع الباطنة وهي التصوف ".**

يقول الشيخ عبد الله في معادلة طريفة ضمن نقاشه لموضوع الشريعة والحقيقة: **" من عامل الحق بالحقيقة والخلق بالحقيقة فهو زنديق. ومن عامل الحق بالشريعة والخلق بالشريعة فهو سني، ومن عامل الحق بالحقيقة والخلق بالشريعة فهو صوفي ".**

---

(٤٨) ابن أبي عجيبة الحسني: إيقاظ الهمم في شرح الحكم، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١١.

(٤٩) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بغداد، ب ت، جـ١، ص١٥–١٧.

(٥٠) انظر رسالة الدكتوراه غير المنشورة في جامعة درم ١٩٧٧، – A.A Gwandu Abdullahioli b fodi as a Muslim Jurist

فالشيخ عبد الله كأنه وهو يضع هذه المعادلة يأخذ في الاعتبار خطورة أن يتعامل الصوفي مع العامة بمقتضى أحوال التصوف ، وهو ما أخذه عامة المتصوفة علي أبي منصور الحلاج وأبي يزيد البسطامي وأمثالهما ممن سمح لنفسه بإباحة أحوال الحقيقة للعامة ، وهو ما أشار إليه الإمام الغزالي بقوله : " **ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات ، والمشاهدات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ، ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ، ثم يرتقي الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق ، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز منه ، وعلى الجملة ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيل طائفة منهم الحلول ، وطائفة الاتحاد ، وطائفة الوصول ، وكل ذلك خطأ** ".[٥١]

وقد تناول ابن خلدون في مقدمته هذه القضية تناولاً علمياً ، حيث حذر من الحكم على المتصوفة من خلال أقوالهم التي يعبرون فيها عن الأحوال ، وهو ما يعرف بالشطحات. إذ الشطحة هي إباحة التعبير عما لا يصح التعبير عنه من حال المتصوفة.

" **وأما الكلام في الكشف ، وإعطاء حقائق العلويات وترتيب صور الكائنات ، فأكثر كلامهم فيه نوع من المتشابه ، لما انه وجداني عندهم ، وفاقد الوجدان عندهم بمعزل عن أذواقهم فيه ، واللغات لا تعطى دلالة على مرادهم منه ، لأنها لم توضع إلا للمتعارف ، وأكثره من المحسوسات ، فينبغي ألا نتعرض لكلامهم في ذلك ، ونتركه فيما تركناه من المتشابه. ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات على الوجه الموافق لظاهر الشريعة فأكرم بها من سعادة. وأما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع ، فاعلم أن الإنصاف في شان القوم أنهم أهل غيبة عن الحس والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه ، وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور. فمن علم منهم فضله واقتداؤه حمل على القصد الجميل من هذا وأمثاله ، إذ العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها ، كما وقع لأبي يزيد البسطامي وأمثاله. ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر فمؤاخذ بما صدر عنه من ذلك إذا لم يتبين لنا ما يحملنا على تأويل كلامه** ".[٥٢]

---

(٥١) الإمام الغزالي : المنقذ من الضلال ، مرجع سابق ، ص٦٥.

(٥٢) عبد الرحمن بن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ، بيروت ، ١٩٧٦م ، ص٨٨٠.

كان ابن خلدون في هذا النص يلتمس العذر لأهل الذوق من الصوفية ، ويدعو إلى حمل كلامهم محملاً حسناً إذا كانوا في حالهم. وقد تناول الشيخ عبد الله هذا الموضوع وهو يتحدث عن ذوق المتصوفة وأحوالهم : " **فإذا تكلم العارف من حيث العلم نظر في قوله بأصله من الكتاب والسنة وآثار السلف ، وإذا تكلم من حيث الحال ، سلم له ذوقه إذ لا يوصل إليه إلا بمثله ، ولكن لا يعتد به لعدم عموم حكمه إلا في مثله** ".(٥٣)

ولعل مما يلاحظ في هذا النص أن الشيخ عبدالله قد تنازل عن وصف المتصوف الذي تخالف أقواله الشريعة بالزندقة التي ذكرها في المعادلة السابقة ، وذلك لأنه ربما يتحدث عن مكانة الصوفي عند أهل التصوف لا عند أهل الشريعة ، فهو بالنسبة لأهل الحقيقة صاحب ذوق لا يوصل إليه إلا بمثله ، وهو بالنسبة لأهل الشريعة لا يعتد بقوله ؛ لأنه خاص به لا يصح تعميمه للخلق ، وهذا الموقف مما يعرف كثيراً في كتابات الغزالي كما هو معلوم.

تناول الشيخ عبد الله هذا الموضوع بالنقاش في غير ما موضع من كتابه ضياء السياسات ، تارة بمدخل العلاقة بين الشريعة والحقيقة الذي مر ذكره ، وأخرى بمدخل الفقه : " **الفقه إقامة الدين ، والتصوف خاص بين العبد وربه** ".(٥٤)

فهو في هذا النص يبين بوضوح أهمية كل من الفقه والتصوف في حياة الناس بما يجعل الفقه عاماً لجميع الناس ، ويجعل التصوف خاصاً بأهله في تحديد العلاقة بين العبد والخالق.

كما نراه يتحدث عن دور كل بوضوح في قوله : " **الفقه إصلاح العمل ، وحفظ النظام ، وإظهار الحكمة في الأحكام ، والتصوف إصلاح القلوب وإفرادها لله تعالى عن كل ما سواه** ".(٥٥)

يبين هذا النص أن الشيخ عبد الله يؤمن بان الفقه والشريعة يعنيان بظاهر الأعمال وطبيعة الأحكام ؛ في حين يعنى التصوف والحقيقة بتربية النفوس وترقيتها في طريق الكمال ، وهذه النظرة قريبة من نظرة الغزالي التي مرّ ذكرها.

وعلى الرغم من أن الشيخ عبدالله يبدو في كتاباته في هذا المجال متشدداً في أمر الشرع مع التصوف كما يفعل الغزالي ، فإنه يفضل التصوف والصوفي في كثير من الأحوال على الفقه والفقيه.

(٥٣) عبد الله بن فودي : ضياء السياسات ، مرجع سابق ، ص١٨٣.
(٥٤) عبد الله بن فودي : المرجع السابق والصفحة.
(٥٥) عبد الله بن فودي : المرجع نفسه ، ص١٨٤.

" نظر الصوفي أخص من نظر الفقيه لأن الفقيه يعتبر ما يسقط به الحرج ، والصوفي ما يحقق به الكمال ". **وهذا أيضاً مطابق لما روي عن الغزالي في هذا الصدد. فهو في هذا النص يفضل بوضوح نظر الصوفي على نظر الفقيه لأن تحقيق الكمال أقوى من سقوط الحرج. غير أنه يمضي في تفضيل المتصوف بصورة أكثر جلاء ، فهو يناقش حالة اصطدام المتصوف مع الشرع بقوله : " حتى ولو صح إنكار الفقيه على الصوفي ولم يصح إنكار الصوفي على الفقيه لزم الرجوع من التصوف إلى الفقه ، وإن كان الصوفي أعلى مرتبة لأنه أسلم مصلحة "**.(٥٦)

ففي هذا النص يبين الشيخ عبد الله بجلاء ضرورة تحكيم الشرع إذا ظهر التعارض بين الشريعة والحقيقة ، ولكنه في نفس الوقت يتحاشى إهمال مكانة التصوف ، بل ويُؤَمِّن عليها ببيان علو مرتبة التصوف وسمو مكانة الصوفي مقارنة بمكانة الفقيه ، ولكن يرجع الشيخ عبدالله إلى القاعدة الرئيسة في هذا المجال والتي دائماً ما يلجأ إليها أهل التصوف الفقهاء والغزالي واحد منهم وهي التفريق بين ما هو للعامة ، وما هو للخاصة من المتصوفة يقول الشيخ عبد الله في ختام حديثه عن هذه القضية : **" فافهم وأعط كل ذي حق حقه ؛ فالأعمال للعامة ، والأحوال للمريدين والفرائض للعابدين ، والحقائق للعارفين "**.(٥٧)

ويرجع تشدد الشيخ عبد الله في أمر الخروج عن قواعد الشرع من قبل المتصوفة واعتصامه في ذلك بعرى الشريعة إلى عدة أسباب أهمها :

(١) انه يعتبر من بين علماء الجهاد من يعنى بظاهر الشريعة حسب ما ذكره أخوه الشيخ عثمان في كتابه نجم الإخوان ، كما يؤكد الشيخ عبد الله نفسه هذا الاعتبار في كتابه " **إيداع النسوخ** "بقوله : وبينهم عثمان صنوي وعمدتي سراجي في علم الشريعة مذهبي ، فهو يجعل الشريعة والفقه تخصصه الأول.

(٢) إن الشيخ عبد الله يتأثر في آرائه حول هذا الموضوع بالإمام الغزالي إذ أن إحياء علوم الدين الذي ناقش فيه الإمام الغزالي هذه القضية يعتبر من مراجعه الأولى.

(٣) إن الشيخ عبدالله قد تأثر بمتصوفة المغرب العربي الذين سبقوه ، وعلى رأسهم ابن الحاج ، وأحمد زروق وغيرهما من المتصوفة الفقهاء السنيين كالغزالي.

(٤) فإذا أضفنا إلى ذلك ما كان شائعاً في زمان الشيخ عبد الله وعصره من بدع عند المتصوفة ؛ أمكننا أن ندرك سر تشدد الشيخ عبد الله في ضرورة تحكيم الشرع على

(٥٦) عبد الله بن فودي : نفس المرجع والصفحة.

(٥٧) عبد الله بن فودي : المرجع نفسه ، ص١٨١ .

أعمال وأحوال المتصوفة. " **من عدل عن جلي الأفكار إلى غامضها فهو مخدوع هواه ، لاسيما إن لم يحكم الظواهر الفقهية للعبادات ، ولم يحقق الفارق بين البدعة والسنة** ".[٥٨]

في هذا النص يبدو الشيخ عبد الله أكثر صرامة في اللجوء إلى الشرع ؛ إذا ما بدا من المتصوف ما يفيد خروجه عن جادة الشريعة.

ومجمل ذلك أن الشيخ عبد الله يدعو إلى اتباع نهج السنة في التصوف ، ويرى تحكيم الشرع في حالة الخلاف بين الشريعة والحقيقة ، وهو في نفس الوقت يرفض الخلاف أصلاً لاعتقاده أن الفقه والتصوف لابد من تلازمهما وتحقيقهما في العابد : " **والمطلوب نبذ الخلاف ؛ الصوفي ينظر إلى الحقيقة بعين الشريعة** ". وهذا يعني بالطبع أن يلتزم المتصوف خط الشرع لا يحيد عنه ، بل إن الشيخ عبد الله ليجعل الفقه القاعدة التي يقوم عليها تصوف المتصوفة ، وليس العكس حيث يقول : " **كن فقيهاً متصوفاً ولا تكن صوفياً فقيهاً** ".[٥٩]

آراؤه حول بعض مقامات التصوف :

تناول الشيخ عبد الله في كتاباته في التصوف أهم الموضوعات التي يتحلى بها كتاب التصوف مما يعرف بالأحوال والمقامات ، من أمثال شيخ الإسلام الهروي ؛ الذي فصل القول فيها[٦٠] مما جعله يتخذ مكان الصدارة[٦١] من الكتاب[٦٢] الذين تناولوا هذا الجانب.

وإذا كان الزهد ممثلاً في لبس الصوف من أول الأحوال التي يتعرض لها المريد ، وهو الأساس الذي بنى عليه المتصوفة الأوائل مذهبهم ، وعرفوا به بين قومهم ، فإن الشيخ عبد الله قد اتخذ من الزهد محوراً لكل أحواله وكتاباته في التصوف منذ بداية حياته إلى نهايتها ، كما جعل منه منهجاً عرف به في سلوكه بين قومه.

ولم يكن حديث الشيخ عبد الله عن الزهد في الدنيا حديثاً سطحياً ، بل كان حديث المتعمق في حال الزهد ، المدقق فيها مع حالة النفس الإنسانية النازعة دوماً إلى حب الشهوات ، الراكضة أبداً خلف مطامعها الدنيوية المختلفة ، وهو في كل ذلك ناظر للغزالي.

---

(٥٨) عبد الله بن فودي : المرجع السابق ، ص١٨٥.

(٥٩) أبو عبد الله الهروي : منازل السائرين إلى الله جل شأنه ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص١٢-٢٢.

(٦٠) انظر الدكتور عبد القادر محمود : الفلسفة الصوفية في الإسلام ، مرجع سابق ، ص١٥.

(٦١) أمثال القشيري في رسالته ، والكلاباذي في التعرف ، والشعراني في الأنوار وكلهم من مصادر الشيخ عبد الله.

(٦٢) عبد الله بن فودي : لباب المدخل ، مرجع سابق ، ص١٠٦.

" ثم أول ما يحتاج إليه المريد في مجاهدته : الزهد في الدنيا ، لأن محبتها والعمل على تحصيلها مع وجود شغف القلب بها تعمي عن أمور الآخرة ، ويطمس القلب ، ويكثر فيه الوسواس والنزعات ، لأن الشيطان لا يجد السبيل إليه إلا بحب الدنيا ، لأنها رأس كل خطيئة. ثم إن الزاهد لا يقتصر على الزهد في الدنيا ليس إلا ؛ بل هو عام في كل الحركات والسكنات وضابطه ، إن كل حركة أو سكون أو نفس أو غير ذلك ، ينظر المريد فيه ، فما كان لله فليمضه وما كان لغيره فليدعه ". (٦٣)

بل إن الشيخ عبد الله ليضع للزهد تعميماً يشمل كل نوع من أنواع الطمع أو التنافس ، فالرياسة عنده من مطامع الدنيا التي ينبغي أن يزهد فيها المريد ، لا رياسة الدنيا وحسب بل ويدخل في ذلك رياسة الآخرة أيضاً إذا شكلت حباً في نفس المريد ينافس فيه غيره : **" ثم إن أشد ما عليه من الزهد ، الزهد في الرياسة لأن النفس والمال ينفقان في الرياسة. ثم لا يظن ظان أن الرياسة إنما في رتب الدنيا فقط ، بل كذا في رتب الآخرة ، فمن يعتقد في نفسه شيئاً فهو عند الله لا شيء ، فمن رأى أنه خير من الكلب فالكلب خير منه فعلى قدر نزوله بنفسه يسمو أمره ويعلو قدره ".** (٦٤)

وقد ربط الشيخ عبد الله في آرائه بين حب الدنيا وبين أمراض القلوب وآفاتها عند الناس ؛ فالرياء ، والعجب ، وتزكية النفس ، والكبر ، والحسد ، والكذب كلها من نتائج حب الدنيا عند المرء إذ لو خلع المرء حب الدنيا عن نفسه لزالت كل أمراض قلبه وسلم صدره ونيته **" اعلم وفقنا الله وإياك أن أكبر ما على المريد في بداية أمره التحفظ على نفسه من الآفات التي تعتوره ، والبحث عنها لأنها تعوقه عن الوصول إلى ما تقدم ذكره ".** (٦٥)

يقصد بذلك الوصول إلى درجة غياب الخلق عن نظره بسبب نظر الخالق إليه. وقد عقد الشيخ عبد الله في كتابه لباب المدخل- الذي لخصه من كتاب المدخل لابن الحاج - فصلاً كبيراً عن آفات القلوب وعيوبها التي كثيراً ما تخفى على المرء مهما كان حذراً **" لأنها كما ورد أخفى من دبيب النمل. لكن يتبين للعبد إن لم يزل مدنساً مرائياً في أحواله لميله إلى الدنيا وإيثارها على الآخرة وإهماله نفسه ".** (٦٦)

---

(٦٣) عبد الله بن فودي : مرجع سابق ، ص١٠٦.
(٦٤) عبد الله بن فودي : نفس المرجع ، ص١١٥.
(٦٥) عبد الله بن فودي : نفس المرجع ، ص١١٦.
(٦٦) عبد الله بن فودي : نفس المرجع ، ص١١٥.

فأمراض القلوب كلها تأتي نتيجة حب الدنيا الذي يعتبر العدو الأول لنية العبد لمخالطتها بحب المال والرياسة والجاه.

" واعلم أن العمل لا يصفو عن الرياء إلا بالصدق واتقاء الكذب ولا ينال ذلك إلا بخلع حب الدنيا عن قلبه واستحضاره مراقبة الله له يراه في كل ما يفعل ، وهو بين يديه فيغيب عنه نظر الخلق بنظر الله إليه ".(٦٧)

وللشيخ عبد الله آراء متشددة في أمر الزهد فهو يرى أن الزهد إذا لم يكن صادقاً خالصاً فقد ينقلب إلى حب الدنيا ، فإذا كان السالك مظهراً للزهد في الدنيا ، وهو غارق بقلبه فيها ؛ فلا فائدة لظاهر زهده إذا كان باطنه مع الناس فهو مثلما قال عن العزلة : **" فرب معتزل كائن في الناس وكائن في الناس معتزل ".**

يقول أيضاً عن ترك الدنيا تجملاً به أمام السالكين : **" اعلم أن فساد القلوب هو الذي فرق بيننا وبين طريق الاستقامة وأهله ، لأن أغلب السالكين يعملون ظاهراً ما يعملون ، لكن القلوب مائلة إلى ما زهد القوم فيه ".**(٦٨)

وفي نفس المعنى يقول : **" واحذر يا أخي من التزين بترك التزين ، وإياك والغفلة عن الشكر بما أعطيت ، واتبع سير السلف ، لا ما نحن عليه اليوم ، لأننا قد صيرنا الغش صدقاً ، والمداهنة مداراة ، والجبن عقلاً. نذم الدنيا بالألسن ونميل إليها بالقلوب ، وندافعها بالقول ونجرها بالأيدي ".**(٦٩)

فالشيخ عبد الله في كل هذه النصوص يدعو إلى زهد حقيقي في الدنيا. يدعو إلى ذلك دعوة الصوفي الحق الذي يتجه بالخطاب إلى النفس قبل اتجاهه إلى خطاب الأقربين ؛ لأنه يعلم حقيقة حب الدنيا وتمكنه من قلوب الناس ، ويعلم أمراض القلوب المرتبطة به ارتباطاً قوياً ، وهو في كل ذلك ناظر إلى الغزالي في كتاب الإحياء ، أما المقامات التي تلي الزهد فقد مر ذكر موقف الشيخ عبد الله منها وهو شديد الحذر في الكلام عنها ، ويكاد يكتفي فيها بما اكتفى به الغزالي في قوله في المنقذ.(٧٠)

---

(٦٧) عبد الله بن فودي : لباب المدخل ، مرجع سابق ، ص١٢٧.

(٦٨) عبد الله بن فودي : نفس المرجع والصفحة.

(٦٩) الغزالي : المنقذ من الضلال ، مرجع سابق – ص٣٨.

(٧٠) سعد بن عبد الرحمن : ترتيب الأصحاب ، (مخطوط غير مصنف) ، المركز الإسلامي ، جامعة صكتو (دان فودي).

فكان ما كان مما لست أذكُرُه فظنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

غير أن تلاميذ الشيخ عبد الله ومريديه كانوا على يقين من انه في مقام سام ، ودرجة عالية من درجات التصوف ، ومنهم سعد بن عبدالرحمن ، الذي يقول عن سبب تأليف كتابه ترتيب الأصحاب في سيرة عبد الله بن فودي : " **إنه من باب الخدمة لجنابه لأن خدمة أولياء الله أعظم خدمة** ".

ولابد لنا في نهاية هذه الورقة من الإشارة إلى أن الشيخ عبد الله قد سلك مسلكاً شبيهاً بمسلك الغزالي حيث قرر وهو في أوج عظمته باعتباره الوزير الأول ، وقائد الجيش ، وفقيه الخلافة ، وعالمها وشاعرها الأول ، أن يعتزل كل ذلك الجاه ويتجه إلى المشرق.

كانت الظروف التي صاحبت اتخاذ هذا القرار ذات ارتباط وثيق ببعض الانحرافات في حركة الإصلاح التي كان يمثل الرجل الثاني فيها. حيث اتجه كثير ممن حوله إلى طلب الدنيا والجاه ، وتحصيل الثروات. وقد عبر عن ذلك بوضوح في ديوانه الشعري " **تزيين الوريقات ببعض ما لي من الأبيات** "، الذي جمعه خصيصاً في نهاية حياته لتبيان دوره ، ومواقفه التي حاول فيها تصحيح مسار الحركة بقوله في ذلك : " **وكنت قد جاءني من الله وارد برفض الأوطان والإخوان والتوجه إلى خير خلق الله لطلب الرضوان لما رأيت من تغير الزمان والإخوان ، وميلهم إلى الدنيا والتنافس في ملكها وجاهها** ".(٧١)

لم يكن قرار الشيخ عبد الله الاعتزال بسبب الناس وتبدل حالهم وحسب ، وإنما كان كالغزالي قد التفت إلى تدارك نفسه : " **وقد علمت أني شرهم ، وأن ما رأيت من غيري لا يعدوني ، فرأيت أن الفرار قد وجب عليَّ فتركت الجيش ، واشتغلت بنفسي ، واستقبلت الشرق نحو المصطفى إن يسر الله ذلك ، فدخلت في المفازة في خمسة من الأصحاب** ".(٧٢)

هذا القرار الذي تطغى عليه روح الإمام الغزالي يمثل الجانب العملي من التوجه الإصلاحي الصوفي عند الشيخ عبد الله ، لأن اعتزاله كان خطوة جادة في طريق إصلاح نفسه ، حيث انقطع نهائياً في نهاية حياته للتصوف.(٧٣) ونشير هنا إلى عبارة : " **وكنت قد جاءني من الله وارد** "؛ باعتبارها أصل في الربط بين قراره وحالته ، إذ تنطوي على مثل ما عبر عنه الغزالي في المنقذ من تردد في اتخاذ القرار حُسم أخيراً بوارد صوفي ، والشيخ عبد الله كثير

---

(٧١) عبد الله بن فودي : تزيين الورقات ، مرجع سابق ، ص٤٥.

(٧٢) عبد الله بن فودي : نفس المرجع والصفحة.

(٧٣) ورقة منشورة A.A. kani The Last Days of Abdullahi b.Fodi.

الحديث عن الواردات في تناوله للخلوة والذكر. وله أبيات جميلة في تزيين الورقات تشير إلى حالته النفسية التي كان لها دور كبير في اتخاذ قرار النجاة بنفسه :

**وقد طار قلبي للمدينة ثاوياً		سنين بها شوقاً وليس بآيب**
**وقيد جسمي عنه ذنبي حائراً		بصدر هواء فاقد القلب ذائب**

وفي اعتزاله قومه يقول :

**صرفت عناني عنهم متوجهاً		إلى خير خلق الله معطي الرغائب**
**وما خاب من الكريم لحاجة		وان كان بطّالاً خبيث المكاسب**

وفي القصيدة ما يشير بوضوح إلى أسباب الرفض والعزلة ، نجاةً بالنفس مما تنتقل إليها من عدوى التغير والتبدُّل.

**وإنَّ قرين السوء يُعدي قرينه		بما فيه إعداء الصحاح الأجارب**

ومثلما عاد الإمام الغزالي من رحلته إلى بلده " **طوس** " ، ومعه جملة من مؤلفاته المهمة؛ فقد عاد عبد الله أيضاً إلى مقره ببلدة " **غندو** "ومعه تفسير القرآن الذي سماه : " **ضياء التأويل في معاني التنزيل** " في أربعة أجزاء وضياءات أخرى.[٧٤] وانقطع في داره للتدريس ، والعبادة ، والتأليف حيث كتب معظم مؤلفاته في التصوف وحوله من الطلاب والمريدين جمع غفير ، وقد أتيحت لكاتب هذه السطور فرصة نادرة في منتصف الثمانينيات رأى فيها ما بقي من أطلال داره بمدينة " **غندو** ".[٧٥]

الخاتمة :

مما سبق من عرض موجز يتضح مدى تأثر الشيخ عبد الله بن فودي بكتابات الإمام الغزالي وأفكاره الصوفية ذات الطابع التربوي الإصلاحي ، مما يؤكد عمق تأثير الإمام الغزالي على هذا الجزء القصي من العالم الإسلامي. فقد عرف الشيخ عبد الله بين علماء الخلافة وقادتها بأنه أكثرهم نزوعاً إلى الإصلاح والتقويم ، ومحاربة كافة أنواع الانحرافات في مجتمع الخلافة ، مما أكسبه لقب الأستاذ بينهم ، بل تعدت جهوده الإصلاحية التربوية منطقة "**صكتو**" عاصمة الخلافة إلى مناطق أخرى ، فقد خلَّف سيرة حسنة في منطقة " **كنو** " التي

---

(٧٤) سعد بن عبد الرحمن : ترتيب الأصحاب ، مرجع سابق ، ص١٣.

(٧٥) كان ذلك في أعقاب (مؤتمر علماء خلافة صكتو) ١٩٨٦ بجامعة صكتو (دان فودي حالياً) ، حيث نُظمت زيارة للمشاركين في المؤتمر إلى تلك البلدة.

مكث فيها فترة العزلة الآنفة الذكر ، حيث سادت أفكاره الإصلاحية ، وجهوده التعليمية ، فقد درس في المنطقة تفسير القرآن وعلوم الشريعة والسياسة والتصوف ، وأجرى إصلاحات اجتماعية عديدة في ذات المنطقة ، ذكرها في كتابه " **ضياء الأحكام** " الذي عاد به من " **كنو** " بعد أن رجع منها دون أن يتمكن من العبور إلى الحجاز ، لسبب لم يفصح عنه إلا بقوله في تزيين الورقات : " **ولما أرجعني الله بحكمته وقهره** ". وبالجملة فإن الشيخ عبد الله يحتل في المنطقة حتى اليوم مكانة سامية ، ويمثل قدوة طيبة لكثير من مثقفيها وعلمائها.[٧٦]

من خلال هذا الاستطلاع يمكن الخروج بالنتائج التالية :

(١) إن التوجه الصوفي الذي سلكه المتصوفة الأوائل[٧٧] كان في مضمونه مسلكاً تربوياً إصلاحياً ، قصد به أصحابه الاتجاه إلى الذات والغير ، بالتربية والإصلاح في مواجهة الانحرافات التي حدثت في المجتمع الإسلامي قادةً ورعية ، في العصور التي تلت عصر الراشدين.

(٢) إن الإمام الغزالي في توجهه الصوفي الذي اتخذ فيه قرار العزلة والخلوة كان ينهج منهجاً تربوياً إصلاحياً للنفس والغير.

(٣) حرص الإمام الغزالي على تسجيل هذا المنهج في كتابه المنقذ من الضلال الذي يُعد كما يدل عنوانه نموذجاً يحتذى لمن يريد النجاة بإصلاح النفس والغير.

(٤) حظي منهج الإمام الغزالي لما يتمتع به من مكانة سامية في الحياة العلمية بقبول وانتشار واسع المدى في العالم الإسلامي مما أدى إلى تأثير فكري واسع النطاق.

(٥) انتقل منهج الغزالي في إصلاح النفس وتصحيح المسار عبر المغرب العربي عن طريق مؤلفاته إلى منطقة غرب إفريقيا عامة وخلافة " **صكتو** " بصفة خاصة ، حيث تأثر به العلماء والقادة.

(٦) من بين علماء الخلافة كان الشيخ عبد الله أكثرهم تأثراً بالغزالي في توجهه ، وسلوكه ، ومؤلفاته ، وفي منهجه التربوي الإصلاحي وفي حياته العامة.

---

(٧٦) التقى كاتب هذه الورقة بأعلام من شمال نيجيريا مثل : البروفيسور/ أبوبكر على غندو ، والبروفيسور/ محمد ثاني ظهرالدين ، وكلا الرجلين عبر عن اقتدائه في حياته بالشيخ عبدالله.

(٧٧) ومن بينهم الحسن البصري الذي عده بعض الكتاب من زعماء الإصلاح ، انظر أحمد أمين – زعماء الإصلاح – مرجع سابق.

(٧) يوجد تشابه واضح بين الإمام الغزالي والشيخ عبدالله بن فودي في منهج الإصلاح ، وفي أسلوب النجاة بالنفس.

(٨) أصبح الشيخ عبدالله علماً من أعلام التصوف تناول في كتاباته قضايا التصوف المختلفة مثل : مفهوم التصوف وحقيقته ومكانته من الفقه والخلوة والعزلة والمقامات وغيرها، وفي تناول الشيخ عبد الله لهذه القضايا كانت بصمات الغزالي واضحة في آرائه ومفاهيمه.

(٩) في سلوكه الشخصي كان عبد الله بن فودي شديد الشبه بالإمام الغزالي[٧٨] علماً وفكراً وتأليفاً وموقفاً حتى في قرار العزلة والتوجه إلى المشرق ، وفي انقطاعه آخر أيامه للعبادة والتأليف والتدريس مما يشير بوضوح إلى تأثره بالغزالي.

من خلال النتائج السابقة يوصي البحث بما يلي :

(١) إعادة قراءة مؤلفات الإمام الغزالي من منطلق التوجه الإصلاحي التربوي في نهجه الصوفي.

(٢) النظر في مدى عمق تأثير المنهج الصوفي الذي انتهجه الغزالي على علماء بلاد المغرب وغرب إفريقيا.

(٣) تتبع آثار آراء الغزالي التربوية الإصلاحية في التصوف في مؤلفات ، ومواقف ، وآراء متصوفة المغرب العربي وغرب إفريقيا.

(٤) النظر إلى إحياء علوم الدين على اعتبار أنه كتاب تربوي إصلاحي في جوهره.

(٥) تتبع أثر كتاب إحياء علوم الدين في المجتمعات الإسلامية ببلاد المغرب وغرب إفريقيا.

(٦) البحث عن تأثير الغزالي صوفياً وإصلاحياً في الذين تناولوه بالدراسة من المحدثين.

(٧) العناية بالجوانب الإيجابية في التوجه الصوفي للإمام الغزالي من خلال المنهج الإصلاحي التربوي.

(٨) ومن خلال هذه التوصيات يقترح البحث ما يلي :

(أ) إجراء بحوث علمية في المنهج الإصلاحي التربوي للغزالي في مؤلفاته في التصوف.

---

(٧٨) عمر أحمد سعيد بين : الإمام الغزالي والشيخ عبد الله بن فودي ، مجلة دراسات إفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، ١٩٩١م.

(ب) الاطلاع والبحث حول أثر الغزالي في حركات الإصلاح والتجديد ذات الطابع الصوفي في بلاد المغرب وغرب إفريقيا.

(ج) إجراء بحث علمي حول الجانب الإصلاحي التربوي لإحياء علوم الدين بصفة خاصة.

(د) توجيه طلاب الدراسات العليا إلى دراسة مؤلفات الغزالي في التصوف من وجهة نظر تربوية إصلاحية.

المراجع :

(١) ابن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية ، بيروت ، ١٩٨٠م.

(٢) أبو الحسن الندوي : رجال الفكر والدعوة ، دار العلم ، ١٩٧٤م.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني : كتاب الأغاني ، ج١ ، دار الشعب ، ١٩٦٩م.

(٤) أبو عبد الله الهروي (شيخ الإسلام) : منازل السائرين إلى الحق جل شأنه ، القاهرة ، ١٩٧٥م.

(٥) أبوبكر الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ، القاهرة ، ١٩٨٠م.

(٦) أبوحامد الغزالي (الإمام) : إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، بغداد ، ب ت ، ج١ ، ج٥.

(٧) أبوحامد الغزالي (الإمام) : المنقذ من الضلال ، تحقيق عبد الحليم محمود ، دار الطباعة الحديثة بيروت، ب ت.

(٨) أحمد أمين : زعماء الإصلاح ، بيروت ، ب ث.

(٩) أحمد بن محمد ابن أبي عجيبة الحسني : إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، القاهرة ، ١٩٧٢م.

(١٠) أحمد محمد كاني : The Last Days of Abdullahi b.Fodi ، ورقة غير منشورة ، مؤتمر علماء خلافة صكتو ، ١٩٨٦ ، جامعة صكتو [دان فودي حالياً].

(١١) الحافظ بن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، بيروت ، ١٩٦٦م.

(١٢) حسن الفاتح قريب الله : دور الغزالي في الفكر، مطبعة الأمانة ، القاهرة ، ١٩٧٨م.

(١٣) رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة درم، ١٩٧٧م –A.A Gwandu Abdullahioli b fodi as a Muslim Jurist

(١٤) زكريا بشير إمام : تأملات في فلسفة الغزالي النورانية ، مجلة كلية الآداب جامعة الإمارات العربية ، ١٩٧٣م.
(١٥) زكريا بشير إمام : تأملات نقدية في الفلسفة الإسلامية ، دار الجيل ، الدار السودانية ، ١٩٩١م.
(١٦) سعد بن عبد الرحمن : ترتيب الأصحاب ، مخطوط غير مصنف ، المركز الإسلامي ، جامعة صكتو [دان فودي].
(١٧) سليمان دنيا : الحقيقة في نظر الغزالي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٧١م.
(١٨) عبد الرحمن بن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، بيروت، ١٩٧٦م.
(١٩) عبد القادر العيدروس : تعريف الأحياء بفضائل الإحياء ، القاهرة ، ١٩٦٨م.
(٢٠) عبد القادر محمود : الفلسفة الصوفية في الإسلام دار الفكر بيروت ب ت.
(٢١) عبد الله بن فودي : إيداع النسوخ من أخذت عنه من الشيوخ ، تحقيق هسكت ، ١٩٥٧م.
(٢٢) عبد الله بن فودي : شكر الإحسان على منن المنان ، نفس المصدر ٥/ ٢٥ NHRS, ABU, Zaria. Nigeria.
(٢٣) عبد الله بن فودي : ضياء السياسات ، تحقيق أحمد محمد كاني ، القاهرة ، ١٩٩٤م.
(٢٤) عبد الله بن فودي : لباب المدخل في آداب أهل الدين والفضل ، مخطوط غير مصنف ، المركز الإسلامي ، جامعة صكتو [دان فودي].
(٢٥) عبد الله بن فودي : منن المنان ، مخطوط ٨/ ١١٩. NHRS, ABU, Zaria, Nigeria.
(٢٦) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، المجلد٢.
(٢٧) ابو المواهب عبد الرحمن الشعراني : الأنوار القدسية بيروت ب ت.
(٢٨) عمر أحمد سعيد : بين الإمام الغزالي والشيخ عبد الله بن فودي في : دراسات إفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، ١٩٩٧م.
(٢٩) عمر أحمد سعيد : تزيين الورقات بين التاريخ والأدب في : دراسات إفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، ١٩٨٤م.
(٣٠) فتحية حسن سليمان : المذهب التربوي عند الغزالي ، القاهرة ، ١٩٦٤م.

(٣١) فضل كلود : الثقافة الإسلامية في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم برنو ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الأزهر ، ١٩٨٣م.
(٣٢) أبو القاسم عبد الكريم القشيري : الرسالة القشيرية ، القاهرة ١٩٧٢.
(٣٣) محمد السعيد عبد المقصود : " **تربية الصفوة** " في : الإمام الغزالي، جامعة قطر ، ١٩٨٦م.
(٣٤) محمد الفقي ، التصوف حياة وسلوك ، المطابع الأميرية ، ١٩٧٩م
(٣٥) محمد توفيق عياد : التصوف الإسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره ، القاهرة ، ١٩٧٠م.
(٣٦) محمود قمبر : الفكر التربوي ومصادره عند الغزالي في : الإمام الغزالي ، جامعة قطر ، ١٩٨٦م.
(٣٧) يوسف القرضاوي : الغزالي حجة الإسلام في : الإمام الغزالي ، جامعة قطر ، ١٩٨٦م.
(٣٨) Massignon , Short Encyclopedia of Islam , London , ١٩٦٤.